المؤتمر القرآني الدولي الثاني
في هدايات القرآن الكريم

وكبره تكبيرا

تعظيم الله تعالى
في هدايات القرآن الكريم

تنظيم جامعة أفريقيا العالمية بالشراكة مع كرسي الهدايات القرآنية بجامعة أم القرى

عنوان البحث

تعظيم القول في التفسير لله تعالى
ابن جرير نموذجاً

اسم الباحث

أ.د/ أمجد بن محمد بن محمد زيدان

أ. د. أمجد بن محمد بن محمد زيدان

تعظيم القول في التفسير تعظيمٌ لله تعالى

ابن جرير نموذجًا

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدى للنَّاس، والصَّلاة والسَّلام على من قَدَرَ اللهَ حقَّ قدره، وعظَّمه حقَّ تعظيمه، فكان أخشى وأتقى خلقه، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هديه وشرعه.

وبعد؛ فهذه مشاركة منِّي في المؤتمر القرآني العالمي الثاني، والذي يحمل عنوان (**تعظيم الله تعالى في هدايات القرآن الكريم**)، والذي تنظِّمه جامعة أفريقيا العالمية بالشَّراكة مع كرسي الهدايات القرآنية في جامعة أم القرى، ووقع اختياري على عنوان: (**تعظيم القول في التَّفسير تعظيم لله تعالى-ابن جرير نموذجًا**).

وقد كانت بدايتي مع تفسير ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ منذ سنين، فقد منّ الله عليّ بقراءته واستخراج فوائده، وكان ممَّا لفت انتباهي أثناء قراءتي فيه، تعظيمه لتفسير كتاب الله، ظهر ذلك من خلال اختياره لأولى المعاني التي تحتملها الآية في كثير من المواطن، محتجًّا في ذلك بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الحُجّة من السَّلف، وأشهر وأفصح أوجه اللغة العربية، التي ينبغي أن نحمل كتابَ الله عليها، فقد كان لا يخرج عن أقوال السَّلف في ذلك، وإن كان يرى الرَّاجح في غيره، وما ذاك إلَّا لتعظيمه لكتاب الله ولأقوال السَّلف فيه.

ولا يخفى على طالب العلم أنَّ الهدايات والاستنباطات من كتاب الله تعتمد على تفسير الآية وفهمها قوَّةً وضعفًا؛ لذا كان لا بدَّ أن يكون التَّفسير للآية صحيحًا حتى يبنى عليه الهدايات والاستنباطات المحتملة للآية، لا البعيدة والشَّاذة وغير الصَّحيحة.

هذا؛ وقد اشتمل البحثُ على خمسة مباحث:

المبحث الأول: النصوص الدالة على تحريم الكذب على الله.

المبحث الثاني: الآثار الواردة عن السلف في تعظيم القول في التفسير.

المبحث الثالث: ترجمة مختصرة لابن جرير، والثناء على تفسيره.

المبحث الرابع: أوجه التفسير عند ابن جرير، والتفسير المقبول عنده.

المبحث الخامس: النماذج التطبيقية الدالة على تعظيم ابن جرير للقول في التفسير.

ثم الخاتمة، وفهرسة المصادر.

المبحث الأول: النصوص الدالة على تحريم الكذب على الله

لقد جاء في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يدلّ على تحريم القول على الله بغير علم:

- قال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا ٥٠﴾ [النساء].
- وقال تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ وَلَا سَآئِبَةٖ وَلَا وَصِيلَةٖ وَلَا حَامٖ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ وَأَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٣﴾ [المائدة].
- وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢١﴾ [الأنعام].
- وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾ [الأنعام].
- وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡإِبِلِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡبَقَرِ ٱثۡنَيۡنِۗ قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ أَمَّا ٱشۡتَمَلَتۡ عَلَيۡهِ أَرۡحَامُ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۖ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَاۚ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٤﴾ [الأنعام].
- وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣﴾ [الأعراف].
- وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ ٥٩ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ٦٠﴾ [يونس].
- وقال تعالى: ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩﴾ [يونس].
- وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود].
- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ وَهَٰذَا حَرَامٞ لِّتَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ١١٦﴾ [النحل].

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾[الإسراء].
- وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾[العنكبوت].
- وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾[الصف].

إنَّ النَّاظر لهذه النُّصوص يجدها وردت في سياقات مختلفة في التَّحذير من الكذب والافتراء على الله، وجعلته من صفات الكافرين، ونفت الفلاح عن الكاذبين، وأنّهم يُفضحون بشهادة الأشهاد يوم القيامة، ولا شكَّ أن من لم يسلك سبيل أهل العلم في تفسير كلام الله؛ فإنَّ الوعيد المذكور يشمله.

عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِغَيْرِ عِلْمٍ؛ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»[١].

وعن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ؛ فَقَدْ أَخْطَأَ**»[٢].

قال التّرمذيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهكذا رُوي عن بعض أهل العلم من أصحاب النَّبيِّ ﷺ وغيرهم، أنّهم شدَّدوا في هذا، في أن يُفسَّر القرآن بغير علم. وأمَّا الذي رُوي عن مجاهد وقتادة وغيرهما من أهل العلم أنّهم فسروا القرآن، فليس الظَّنُّ بهم أنّهم قالوا في القرآن، أو فسَّروه بغير علم أو من قبل أنفسهم. وقد رُوي عنهم ما يدلُّ على ما قلنا، أنّهم لم يقولوا من قبل أنفسهم بغير علم»[٣].

---

(١) أخرجه التّرمذيُّ (٢٩٥٠)، وقال: «هذا حديث حسن»، وضعّفه الألبانيُّ.

(٢) أخرجه التّرمذيُّ (٢٩٥٢)، وقال: «هذا حديث غريب، وقد تكلَّم بعضُ أهل الحديث في سهيل بن أبي حزم»، وضعَّفه الألبانيُّ.

(٣) جامع التّرمذيُّ (٥/ ٢٠٠).

المبحث الثاني: الآثار الواردة عن السلف في تعظيم القول في التفسير

عن إبراهيم التَّيميِّ: أنَّ أبا بكر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سئل عن قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾ [عبس]، فقال: أيّ سماء تُظِلّني -أو: أيّ أرض تُقِلّني- إن أنا قلتُ في كتاب الله ما لا أعلم؟[1].

وعن أنس: أنَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قرأ على المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبُّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنَّ هذا لهو التَّكلُّف يا عمر[2].

وعن مسروق، عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إنَّ القرآن كلام الله -تعالى- فمن كَذَب على القرآن، فإنَّما يكذب على الله عزَّ وجلَّ[3].

وعن ابن أبي مُليكة: أنَّ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سُئل عن آيةٍ -لو سُئل عنها بعضُكم لقال فيها-، فأبى أن يقول فيها[4].

وعن عمرو بن مُرَّة، قال: قال رجلٌ لسعيد بن جبير: أما رأيتَ ابن عبَّاس حين سُئل عن هذه الآية ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ [النساء: ٢٤]، فلم يقل فيها شيئًا، فقال سعيدٌ: كان لا يعلمها[5].

وعن ابن أبي مليكة، قال: سأل رجلٌ ابنَ عبَّاس عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]؟ فقال ابن عباس: فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]؟ قال الرَّجل: إنَّما سألتُك لتحدثني. فقال ابن عبَّاس: «هما يومان ذكرهما الله في كتابه، الله أعلم بهما». فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم[6].

وعن الوليد بن مسلم، قال: جاءَ طلْقُ بن حبيب إلى جُندب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن، فقال له: أُحرِّج عليك إن كنتَ مُسلمًا، لما قمتَ عنِّي. أو قال: أن تجالسني[7].

---

(١) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧٥).

(٢) المصدر السَّابق.

(٣) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٣٨٩).

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٨٠).

(٥) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧٦)، تفسير الطبري (٦/ ٥٧٤).

(٦) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧٦).

(٧) ينظر: تفسير ابن جرير (١/ ٨٠).

وعن محمَّد، قال: سألتُ عَبيدة عن آيةٍ من القرآن، فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن، اتق الله وعليك بالسَّداد(١).

وعن الشَّعبيِّ، قال: أدركتُ أصحابَ عبد الله وأصحابَ عليٍّ وليس هم لشيء من العلم أكره منهم لتفسير القرآن(٢).

وعن يزيد بن أبي يزيد، قال: كُنَّا نسأل سعيد بن المسيب عن الحلال والحرام، وكان أعلم النَّاس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت كأن لم يسمع(٣).

وعن عمرو بن مُرَّة، قال: سأل رجلٌ سعيد بن المسيب عن آيةٍ من القرآن، فقال: لا تسألني عن القرآن، وسل مَن يزعم أنَّه لا يخفى عليه شيءٌ منه (يعني: عكرمة)(٤).

وعن عبد الله بن أبي السَّفر، قال: قال الشَّعبيُّ: والله، ما من آيةٍ إلَّا قد سألتُ عنها، ولكنَّها الرِّواية عن الله(٥).

وعن عبيد الله بن عمر، قال: لقد أدركتُ فقهاء المدينة وإنّهم ليُعظِّمون القولَ في التَّفسير، منهم: سالم بن عبد الله، والقاسم بن محمد، وسعيد بن المسيب، ونافع(٦).

وعن عبد الله بن مسلم بن يسار، عن أبيه مسلم، قال: إذا حدَّثتَ عن الله حديثًا؛ فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده(٧).

وعن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتقون التَّفسير، ويهابونه(٨).

وعن مسروق، قال: اتقوا التفسير، فإنَّما هو الرِّواية على الله عزَّ وجلَّ(٩).

---

(١) ينظر: تفسير ابن جرير (١/ ٨٠)، فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧٧).

(٢) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٦).

(٣) ينظر: تفسير ابن جرير (١/ ٨٠).

(٤) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧٧)، مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٦)، تفسير ابن جرير (١/ ٨١).

(٥) ينظر: تفسير ابن جرير (١/ ٨١).

(٦) ينظر: تفسير ابن جرير (١/ ٧٩).

(٧) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧٧)، مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٣١).

(٨) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧٨).

(٩) ينظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٧٧).

وعن عبد الله بن حبيب بن أبي ثابت، قال: سألتُ طاوسًا عن تفسير هذه الآية ﴿شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾[المائدة: ١٠٦]، فأراد أن يبطش، حتى قيل: هذا ابنُ حبيب. كراهيةً لتفسير القرآن[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره جملةً من هذه الأخبار: وأمَّا الأخبار التي ذكرناها عمَّن ذكرناها عنه من التَّابعين، بإحجامه عن التَّأويل، فإنَّ فعلَ من فعل ذلك منهم، كفعل من أحجم منهم عن الفُتيا في النَّوازل والحوادث، مع إقراره بأنَّ الله -جلَّ ثناؤه-، لم يقبض نبيَّه إليه إلَّا بعد إكمال الدِّين به لعباده، وعلمه بأنَّ لله في كلِّ نازلة وحادثة حكمًا موجودًا، بنصٍّ أو دلالة، فلم يكن إحجامه عن القول في ذلك إحجامَ جاحدٍ أن يكون لله فيه حكمٌ موجودٌ بين أظهر عباده، ولكن إحجامَ خائفٍ أن لا يبلغ في اجتهاده ما كلَّف اللهُ العلماءَ من عباده فيه. **فكذلك معنى إحجام مَن أحجم عن القيل في تأويل القرآن، وتفسيره من العلماء السَّلف، إنَّما كان إحجامه عنه حذار أن لا يبلغ أداءَ ما كُلِّف من إصابة صواب القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوبٌ عن علماء الأُمَّة غير موجود بين أظهرهم**[٢].

(١) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٦).

(٢) تفسير الطبري (١/ ٨٣).

المبحث الثالث: ترجمة مختصرة لابن جرير، والثناء على تفسيره

هو محمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير الطَّبري، الإمام العلم المجتهد عالم العصر، أبو جعفر الطبري، صاحب التَّصانيف البديعة، من أهل آمل طبرستان.

مولده: سنة أربع وعشرين ومائتين، وطلب العلم بعد الأربعين ومائتين، وأكثر التّرحال، ولقي نبلاء الرِّجال، وكان من أفراد الدَّهر علمًا وذكاءً، وكثرة تصانيف، قلَّ أن ترى العيون مثلَه، كان ثقةً صادقًا حافظًا رأسًا في التَّفسير، إمامًا في الفقه والإجماع والاختلاف، علَّامةً في التَّاريخ وأيَّام النَّاس، عارفًا بالقراءات وباللُّغة، وغير ذلك.

قال أبو حامد أحمد بن أبي طاهر الإسفراييني الفقيه: لو سافر رجلٌ إلى الصِّين حتى يحصل تفسير محمد بن جرير لم يكن كثيرًا.

قال ابن خزيمة: لقد نظرتُ في تفسير ابن جرير من أوَّله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلمَ من محمّد بن جرير.

قال أبو محمد الفرغاني: تمّ من كتب محمَّد بن جرير كتاب (التفسير) الذي لو ادَّعى عالمٌ أن يصنِّف منه عشرة كتب، كلّ كتاب منها يحتوي على علم مفرد مستقصًى لفعل.

قال أبو جعفر: استخرتُ اللهَ وسألتُه العونَ على ما نويتُه من تصنيف التَّفسير قبل أن أعمله ثلاثَ سنين، فأعانني.

قال الحافظ أبو بكر الخطيب: استوطن ابنُ جرير بغدادَ، وأقام بها إلى حين وفاته، وكان أحد أئمة العلماء، يُحكم بقوله، ويُرجع إليه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحدٌ من أهل عصره، وكان حافظًا لكتاب الله، عارفًا بالقراءات، بصيرًا بالمعاني، فقيهًا في الأحكام، عالمًا بالسُّنن وطرقها وصحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها، عارفًا بأقوال الصَّحابة والتَّابعين ومن بعدهم، عارفًا بأيَّام النَّاس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتابٌ في التفسير لم يصنف أحدٌ مثلَه، وكتابٌ سمَّاه (تَهذيب الآثار)، لم أر سواه في معناه إلَّا أنَّه لم يتمَّه، وله في أصول الفقه وفروعه كتبٌ كثيرة واختيارات، وتفرَّد بمسائلَ حُفِظت عنه.

قال ابن حجر: «فالذين اعتنوا بجمع التَّفسير من طبقة الأئمة السِّتَّة أبو جعفر بن جرير الطَّبري، ويليه أبو بكر محمَّد بن إبراهيم بن المنذر النَّيسابوري، وأبو محمَّد عبد الرحمن

بن أبي حاتم بن إدريس الرَّازي، ومن طبقة شيوخهم: عبدُ بن حُميد بن نصر الكَشِّي، فهذه التَّفاسير الأربعة قلَّ أن يشذَّ عنها شيءٌ من التَّفسير المرفوع والموقوف على الصَّحابة والمقطوع عن التَّابعين، وقد أضاف الطَّبري إلى النَّقل المستوعب أشياءَ لم يشاركوه فيها، كاستيعاب القراءات والإعراب، والكلام في أكثر الآيات على المعاني، والتَّصدي لترجيح بعض الأقوال على بعض. وكلُّ من صنَّف بعده لم يجتمع له ما اجتمع فيه؛ لأنَّه في هذه الأمور في مرتبة متقاربة، وغيره يغلب عليه فنٌ من الفنون، فيمتاز فيه، ويقصر في غيره»[١].

قال الذَّهبيُّ: وتفسير هذا الإمام مشحونٌ في آيات الصِّفات بأقوال السَّلف على الإثبات لها، لا على النَّفي والتَّأويل، وأنّها لا تشبه صفات المخلوقين أبدًا.

تُوفِّي عشيةَ الأحد ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاث مائة، ودُفِن في داره ببغداد[٢].

---

(١) ينظر: العجاب في بيان الأسباب (١/ ٢٠٢).

(٢) ينظر ترجمة ابن جرير: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧)، والبداية والنهاية (١٤/ ٨٤٦).

المبحث الرابع: أوجه التفسير عند ابن جرير، والتفسير المقبول عنده

في هذا المبحث أبين أوجه التَّفسير عند ابن جرير، ولا أعني أنَّ هذه الأوجه لم يذكرها غيره، ولكنه أفرد لها عنوانًا، فأحببتُ ذكرها بمبحث مستقلّ.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: القول في الوجوه التي من قبلها يوصل إلى معرفة تأويل القرآن.

إنَّ تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة:

أحدها: لا سبيل إلى الوصول إليه، وهو الذي استأثر الله بعلمه، وحجب علمَه عن جميع خلقه، وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة، التي أخبر الله في كتابه أنّها كائنة، مثل وقت قيام السَّاعة، ووقت نزول عيسى ابن مريم، ووقت طلوع الشَّمس من مغربها، والنَّفخ في الصُّور، وما أشبه ذلك.

والوجه الثَّاني: ما خصَّ الله بعلم تأويله نبيَّه ﷺ، دون سائر أُمَّته، وهو ما فيه ممَّا بعباده إلى علم تأويله الحاجة، فلا سبيل لهم إلى علم ذلك، إلَّا ببيان الرَّسول ﷺ لهم تأويله، قال الله – جلَّ ذكره، وتقدست أسماؤه– لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[النحل: ٤٤]. وقال أيضًا جلَّ ذكره: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾[النحل]. وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾[آل عمران]. فقد تبيَّن ببيان الله جلَّ ذكره، أنَّ ممَّا أنزل الله من القرآن على نبيِّه ﷺ، ما لا يوصل إلى علم تأويله، إلَّا ببيان الرَّسول ﷺ، وذلك تأويل جميع ما فيه، من وجوه أمره، وواجبه، وندبه، وإرشاده وصنوف نهيه، ووظائف حقوقه، وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آيه، التي لم يدرك علمها إلَّا ببيان رسول الله ﷺ لأُمَّته. وهذا وجهٌ لا يجوز لأحد القول فيه، إلَّا ببيان رسول الله ﷺ، بتأويله، بنصٍّ منه عليه، أو بدلالة قد نصبها دالَّة أمَّته على تأويله.

والثَّالثُ منها: ما كان علمه عند أهل اللِّسان الذي نزل به القرآن، وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه، لا توصل إلى علم ذلك إلَّا من قبلهم، فإنَّ ذلك لا يجهله أحدٌ منهم، وذلك كسامع منهم لو سمع تاليًا يتلو: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

ﵟٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢ﵞ [البقرة] لم يجهل أنَّ معنى الإفساد: هو ما ينبغي تركه ممّا هو مضرَّة، وأنَّ الإصلاح هو ما ينبغي فعله، ممّا فعله منفعة؛ وإن جهل المعاني التي جعلها الله إفسادًا، والمعاني التي جعلها الله إصلاحًا.

فإذا كان ذلك كذلك، فأحقُّ المفسرين بإصابة الحقِّ في تأويل القرآن الذي إلى علم تأويله للعباد سبيل، أوضحهم حُجَّة فيما تأوَّل وفسَّر، ممَّا كان تأويله إلى رسول الله ﷺ، دون سائر أُمَّته، من أخبار رسول الله ﷺ الثَّابتة عنه، إمَّا من وجه النَّقل المستفيض، فيما وجد فيه من ذلك عنه النَّقل المستفيض. وإمَّا من وجه نقل العدول الأثبات، فيما لم يكن فيه عنه النَّقل المستفيض، أو من وجه الدَّلالة المنصوبة على صحَّته، وأوضحهم برهانًا فيما ترجم وبيَّن من ذلك، ممَّا كان مدركًا علمه من جهة اللِّسان، إما بالشَّواهد من أشعارهم السَّائرة، وإمَّا من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة، كائنًا من كان ذلك المتأوِّل والمفسِّر، بعد أن لا يكون خارجًا تأويلُه وتفسيرُه ما تأوَّل وفسَّر من ذلك عن أقوال السَّلف من الصَّحابة والأئمة والخلف من التَّابعين وعلماء الأُمَّة(١).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٦٧، ٨٧).

المبحث الخامس: النماذج التطبيقية الدالة على تعظيم ابن جرير للقول في التفسير

النَّموذج الأوَّل:

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ القول في تأويل قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾[البقرة: ٢٥] قال أبو جعفر: والهاء في قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ عائدة على الرزق، فتأويله: وأُتوا بالذي رُزِقوا من ثمارها متشابهًا.

وقد اختلف أهلُ التَّأويل في تأويل المتشابه في ذلك، فقال بعضهم: تشابهه أن كلَّه خيار لا رَذل فيه(١). وقال بعضهم: تشابهه في اللَّون وهو مختلف في الطعم(٢). وقال بعضهم: تشابه في اللَّون والطَّعم(٣). وقال بعضهم: تشابهه تشابه ثمر الجنَّة وثمر الدُّنيا في اللَّون وإن اختلف طعومهما(٤). وقال بعضهم: لا يشبه شيء ممَّا في الجنَّة ما في الدُّنيا إلَّا الأسماء(٥). وقد زعم بعض أهل العربية أنَّ معنى قوله: ﴿وَأُتُوا بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ أنه متشابه في الفضل: أي كلّ واحد منه له من الفضل في نحوه مثلَ الذي للآخر في نحوه.

قال أبو جعفر ابن جرير معقِّبًا على هذا القول: وليس هذا قولًا نستجيز التَّشاغل بالدَّلالة على فساده لخروجه عن قول جميع علماء أهل التَّأويل، وحسب قولٍ بخروجه عن قول جميع أهل العلم دلالةً على خطئه(٦).

النموذج الثاني:

قال رَحِمَهُ اللهُ القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٧٤].

قال أبو جعفر: يعني بذلك جلَّ ثناؤه: وإنَّ من الحجارة لما يهبط: أي يتردَّى من رأس الجبل إلى الأرض والسَّفح من خوف الله وخشيته. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل(٧).

---

(١) روي ذلك عن: الحسن وقتادة وابن جريج، ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٣).

(٢) روي ذلك عن: ابن عباس وابن مسعود ومجاهد والربيع بن أنس، ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٤).

(٣) روي ذلك عن: مجاهد ويحي بن سعيد، ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٥).

(٤) روي ذلك عن: قتادة وعكرمة، ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٥).

(٥) روي ذلك عن: ابن عباس وعبد الرحمن بن زيد، ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٦).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٤١٢-٤١٨).

(٧) روي ذلك عن: ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن جريج، ينظر: تفسير الطبري (٢/ ١٣٦).

ثم اختلف أهل النحو في معنى هبوط ما هبط من الحجارة من خشية الله. فقال بعضهم: إن هبوط ما هبط منها من خشية الله: تفيؤ ظلاله. وقال آخرون: ذلك الجبل الذي صار دكًّا؛ إذ تجلَّى له ربُّه. وقال بعضهم: ذلك كان منه، ويكون بأنَّ الله -جلَّ ذكره- أعطى بعض الحجارة المعرفة والفهم، فعقل طاعة الله فأطاعه. وقال آخرون: بل قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ كقوله: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾[الكهف: ٧٧] ولا إرادة له، قالوا: وإنَّما أريد بذلك أنَّه من عظم أمر الله يُرَى كأنَّه هابطٌ خاشعٌ من ذُلِّ خشية الله. وقال آخرون: معنى قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ أي: يوجب الخشية لغيره بدلالته على صانعه، كما قيل: ناقة تاجرة: إذا كانت من نجابتها وفراهتها تدعو النَّاس إلى الرَّغبة فيها.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد إيراده هذه الأقوال: وهذه الأقوال وإن كانت غير بعيدات المعنى ممَّا تحتمله الآية من التَّأويل، فإنَّ تأويل أهل التَّأويل من علماء سلف الأُمَّة بخلافها؛ فلذلك لم نستجز صرفَ تأويل الآية إلى معنًى منها(١).

علَّق محمود شاكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قول ابن جرير هذا بقوله: ليتَ من تهوَّر من أهل زماننا، فاجترأ على جعل كتاب ربِّه منبعًا يستقى منه ما يشاء لأهوائه وأهواء أصحاب السُّلطان= سمع ما يقول أبو جعفر، فيما تجيزه لغة العرب، فكيف بما هو تَهَجّم على كلام ربِّه بغير علم ولا هدًى ولا حُجَّة؟ اللهمّ، إنَّا نبرأ إليك منهم، ونستعيذ بك أن نضلَّ على آثارهم(٢).

النَّموذج الثَّالث:

القولُ في تأويل قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾[البقرة: ١٥٩].

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ هؤلاء الذين يكتمون ما أنزله الله من أمر محمَّد ﷺ وصفته وأمر دينه أنَّه الحقُّ من بعد ما بيَّنه الله لهم في كتبهم، يلعنهم بكتمانهم ذلك، وتركهم تبيينه للنَّاس، يبعدهم الله منه ومن رحمته، ويسأل ربَّهم اللَّاعنون أن يلعنهم؛ لأنّ لعنة بني آدم وسائر خلق الله ما لعنوا أن يقولوا: اللهمَّ اِلعنه.

واختلف أهل التَّأويل فيمن عنى الله -تعالى- ذكره باللَّاعنين، فقال بعضهم: عنى

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ١٣٤-١٣٨)، وقد أورد الأقوال الخمسة التي لم يرجحها دون نسبة.

(٢) ينظر: تفسير الطبري، تحقيق شاكر (٢/ ٢٤٣: حاشية ٢).

بذلك دوابَّ الأرض وهوامها[١]. وقال آخرون: عنى الله تعالى ذكره بقوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ الملائكة والمؤمنين[٢]. وقال آخرون: يعني باللَّاعنين: كلّ ما عدا بني آدم والجنِّ[٣].

وأمّا قول من قال: إنَّ اللاعنين هم الخنافس والعقارب وما أشبه ذلك من دبيب الأرض وهوامها، فإنَّه قولٌ لا تدرك حقيقته إلَّا بخبر عن الله أنَّ ذلك من فعلها تقوم به الحُجّة، ولا خبر بذلك عن نبيِّ الله ﷺ، فيجوز أن يقال إنّ ذلك كذلك. وإذ كان ذلك كذلك؛ فالصَّواب من القول فيما قالوه أن يقال: إنَّ الدَّليل من ظاهر كتاب الله موجودٌ بخلاف هذا التَّأويل، وهو ما وصفنا[٤]. فإن كان جائزًا أن تكون البهائم وسائر خلق الله تلعن الذين يكتمون ما أنزل الله في كتابه من صفة محمَّد ﷺ ونعته ونبوّته، بعد علمهم به، وتلعن معهم جميع الظَّلمة، فغير جائز قطع الشَّهادة في أنَّ الله عنى باللَّاعنين البهائم والهوام ودبيب الأرض، إلَّا بخبر للعذر قاطع، ولا خبر بذلك، وظاهر كتاب الله الذي ذكرناه دالٌّ على خلافه.[٥]

النموذج الرابع:

قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾[الأحقاف: ١٠].

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وشهد شاهدٌ من بني إسرائيل، وهو موسى بن عمران عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على مثله، يعني على مثل القرآن، قالوا: ومثل القرآن الذي شهد عليه موسى بالتَّصديق: التوراة.

قال مسروقٌ: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، ما أُنزلت إلَّا بمكة، وما أسلم عبد الله إلَّا بالمدينة، ولكنَّها خصومة خاصم محمّد ﷺ بها قومه، قال: فنزلت ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾[الأحقاف: ١٠]، قال:

---

(١) روي ذلك عن: مجاهد وعكرمة، ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧٣٣).

(٢) روي ذلك عن: قتادة والربيع بن أنس، ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧٣٦).

(٣) روى ذلك السدي عن البراء بن عازب، وروي عن الضحاك، ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧٣٦).

(٤) مراده بالدَّليل الظاهر هي الآية التي ذكرها لمّا رجح من الأقوال: أنَّ المعني: الملائكة والمؤمنون، وهي قوله تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَـٰنِتُونَ﴾[البقرة: ١١٦].

(٥) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧٣٣-٧٣٨).

فالتَّوراة مثل القرآن، وموسى مثل محمّد ﷺ، فآمنوا بالتَّوراة وبرسولهم، وكفرتم.

وقال آخرون: عنى بقوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ﴾ عبد الله بن سلام، قالوا: ومعنى الكلام وشهد شاهدٌ من بني إسرائيل على مثل هذا القرآن بالتَّصديق. قالوا: ومثل القرآن التَّوراة[١].

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره الخلاف: والصَّواب من القول في ذلك عندنا أنَّ الذي قاله مسروقٌ في تأويل ذلك أشبه بظاهر التَّنزيل، لأنَّ قوله: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كَانَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرۡتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثۡلِهِۦ فَـَٔامَنَ﴾ في سياق توبيخ الله -تعالى ذكره- مشركي قريش، واحتجاجًا عليهم لنبيِّه ﷺ، وهذه الآية نظيرة سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكرٌ، فتوجَّه هذه الآية إلى أنّها فيهم نزلت، ولا دلّ على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدَّم الخبر عنهم معنى، **غير أنَّ الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ بأنَّ ذلك عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التَّأويل، وهم كانوا أعلم بمعاني القرآن، والسَّبب الذي فيه نزل، وما أريد به، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك: وشهد عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل على مثله، يعني على مثل القرآن، وهو التَّوراة، وذلك شهادته أنَّ محمّدًا مكتوب في التَّوراة أنَّه نبيٌّ، تجده اليهود مكتوبًا عندهم في التَّوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنَّه نبيٌّ**[٢].

النموذج الخامس:

قال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ ١١﴾ [الغاشية] يقول: ﴿لَّا تَسۡمَعُ﴾ هذه الوجوه -المعنى لأهلها- ﴿فِيهَا﴾ في الجنة العالية ﴿لَٰغِيَةٗ﴾، يعني باللَّاغية: كلمة لغو. واللَّغو: الباطل، فقيل للكلمة التي هي لغو: لاغية، كما قيل لصاحب الدِّرع: دارع، ولصاحب الفرس: فارس، ولقائل الشِّعر شاعر.

وزعم بعضُ الكوفيين أنَّ معنى ذلك: لا تسمع فيها حالفةً على الكذب، ولذلك قيل لاغية؛ ولهذا الذي قاله مذهب ووجه، لولا أنَّ أهل التَّأويل من الصَّحابة والتَّابعين على خلافه، وغير جائز لأحد خلافَهم فيما كانوا عليه مجمعين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التَّأويل[٣].

(١) روي ذلك عن: عبد الله بن سلام وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ومجاهد وقتادة والضحاك والحسن وابن زيد، ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٢٧).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٢٤-١٣١)

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٣٣٤-٣٣٥)، وما رجحه قولُ ابن عباس ومجاهد وقتادة.

وفي نهاية هذا المبحث يحسن أن أذكر مثالًا بُني على تفسير واستدلال باطل غير صحيح: قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾[الكهف: ٢١].

قال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واستدلّ بالآية على جواز البناء على قبور الصُّلحاء واتّخاذ مسجد عليها وجواز الصَّلاة في ذلك، وممَّن ذكر ذلك الشِّهاب الخفاجيُّ في حواشيه على البيضاويِّ، وهو قولٌ باطلٌ عاطلٌ فاسدٌ كاسدٌ[١].

وساق جملةً من الأدلة الصَّحيحة الصَّريحة الدَّالة على تحريم ذلك.

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مقصود البخاريِّ بهذا الباب (باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويُتَّخذ مكانها مساجد لقول النَّبيِّ ﷺ: «لعن الله اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وما يكره من الصَّلاة في القبور) كراهةُ الصَّلاة بين القبور وإليها، واستدلَّ لذلك بأنَّ اتّخاذ القبور مساجد ليس هو من شريعة الإسلام، بل من عمل اليهود، وقد لعنهم النَّبيُّ ﷺ على ذلك، وقد خرَّج البخاريُّ هذا الحديثَ فيما تقدَّم، وسيأتي قريبًا -إن شاء الله تعالى-، وقد دلَّ القرآنُ على مثل ما دلَّ عليه هذا الحديثُ، وهو قول الله -عزَّ وجلَّ- في قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، فجعل اتّخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك يُشعر بأنَّ مستنده القهر والغلبة واتّباع الهوى، وأنَّه ليس من فعل أهل العلم والفضل المتَّبعين لما أنزل الله على رُسله من الهدى[٢].

---

(١) ينظر: تفسير الألوسي (٨/ ٢٢٥).

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب (٣/ ١٩٣). وينظر كذلك: أسباب الخطأ في التَّفسير (٢/ ٧١٦). وهو مليء بالأمثلة، ومن الكتب المليئة بالأمثلة: قواعد التّرجيح عند المفسرين.

الخاتمة

الحمد لله على ما أنعم ويسَّر في الكتابة في هذا البحث، وهذه جملة من النتائج:

١- إن القول في التفسير بغير علم، هو تقول على الله، وكبيرة من كبائر الذنوب.

٢- هيبة السلف وتورعهم من القول في التفسير، هو خوفهم من عدم إصابة الحقّ، لا لجهلهم بعلم التفسير.

٣- إنَّ استخراج الهدايات والاستنباطات التي تحتملها الآية، مبنيٌ على التَّفسير الصحيح للآية.

٤- تعظيم القول في التفسير وتعظيم أقوال السلف من أبرز سمات تفسير ابن جرير.

٥- حرص ابن جرير على اختيار المعنى الأشهر والأفصح في لغة العرب، هو تعظيم لكتاب الله، وتعظيم القول فيه.

المصادر والمراجع

١- أسباب الخطأ في التفسير، طاهر محمود يعقوب، ط١ دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٥هـ.

٢- الأسماء والصفات للبيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، ط١ مكتبة السوادي، جدة -، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٣- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

٤- تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير بن يزيد، أبو جعفر الطبري (ت ٣١٠هـ) تحقيق محمود شاكر وأحمد شاكر، ط١ مؤسسة الرسالة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٥- الجامع الكبير (سنن الترمذي)، تأليف: أبي عيسى محمد الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م .

٦- سير أعلام النبلاء، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، الطبعة الحادية عشرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٧- العجاب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، ط دار ابن الجوزي.

٨- الكتاب: البداية والنهاية، المؤلف أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط١دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧ م.

٩- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت٢٣٥هـ) كمال يوسف الحوت، ط١ مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٩هـ.

١٠- فضائل القرآن، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت٢٢٤هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين ط١ دار ابن كثير (دمشق - بيروت)، ١٤١٥ هـ-١٩٩